الفصـل العاشــر

====

النظـام الاجتماعــى فى العفـر

====

المحتويــات :

١ – التركيبة السياسية والاجتماعية للعفر٠

٢ – العادات والتقاليد٠

٣ – وصف الملامح العفرية ٠

٤ – تقاليد العفر فى تنصيب السلطان٠

٥ – النظام الوضعى للعفر والدستور (مدعه)٠

٦ – السلطان ونفوذه ٠

٧ – مصطلح (فيهما) أى المساواة والتكامل ٠

٨ – اللغــة العفرية ٠

٩ – المنــازل العفرية ٠

١٠– الفـن العفرى٠

١ - التركيبة السياسية والاجتماعية للعفر :

وكما أوضحنا فى المقدمة فإن التركيبة السياسية الاجتماعية ترتكز على توليفة من عناصر إقليمية وعناصر الرابطة القبلية · ورئيس القبيلة هو شيخ البلد (أو ريدنتو بلغة العفر) ، وهو مدير الشئون الاجتماعية لأهله ، وضمان السلام ،وقاضى ومحكم المنازعات بين أهله وبين الجماعات الخارجية · ويتيح الريدنتو لنفسه فرصة مساعدة المستشارين له فى اتخاذ القرار ويسمون (مكابون) ، كما يساعده المسنون أيضا الذين يتمتعون بسلطة خاصة نتيجة لخبرتهم وحكمتهم· وهناك روابط بين القبائل فى كل وحدة إقليمية بحكم المصاهرة والتسلسل الأبوى ، حيث يعترف بقيادة قبيلة معينة لكل وحدة إقليمية بحكم ادعائها بأن وجودها فى المنطقة يسبق وجود الآخرين ·

وهذه الحقيقة تسند (إلى القبيلة الأصلية) بعض حقوق أولها ملكية الآبار وكأنها حقيقة موضوعية · وبالرغم من أن كل قبيلة تسكن فى منطقة محددة يمكنها إمداد نفسها بالمياه من الآبار الموجودة ، فإن القبيلة الأصلية فقط هى التى يمكنها حفر الآبار ، وبالتالى فهى المالكة لها ·

وأينما وُجدت القبيلة الحاكمة فإنها تدعى لنفسها الحقوق فى النخيل ونخيل البلح فى الواحات ، كما أنها تنظم استغلاله بواسطة الأشخاص الآخرين ·

إن ندرة الموارد المتاحة ، ومن ثم الأهمية الحيوية للمحافظة عليها، تبدو وكأنها قد وضعت نظاما للقواعد الاجتماعية التى تحمى الحقوق بين مختلف الناس لاستغلال الموارد من ناحية ، كما تبدو من ناحية أخرى أنها تجند نظاما

اجتماعيا طبيعيا يقصد به الدفاع وإدارة السلع الشحيحة الموجودة فى المنطقة (١) ٠

وإلى جانب الروابط التى حكمت عن طريق المصاهرة فإن كل الجماعات المقيمة فى منطقة إقليمية تتمثل فى مجلس يسمى مبلو ٠

ومن التقاليد العفرية قديما فى غياب الجفاف أن يعتبر المرء نفسه ثريا عندما يمتلك ٣٠ جملا (٦ ذكور والباقى من الإناث) وقطيعا يصل إلى ١٠٠ وحدة ٠

ويعد شعب العفر واحدا من أوسع المجموعات العرفية التى تسكن القرن الإفريقى، حيث يحدهم من الشمال التجاروا ، ومن الغرب الأمهرين ، ومن الجنوب الغربى والجنوبى الأورومو ، ومن الجنوب الشرقى الصومال ٠

ويستعمل العفر أسماء قبائلهم وعشائرهم فيما بينهم ، أما بالنسبة للأغراب (غير العفريين) ، فهم يعرفون أنفسهم بغير اختلاف بالعفر (Afara) ٠ ويشترك الشعب كما هو معروف فى التراث الثقافى الواحد، واللغة الشعبية الواحدة وتجمعهم الديانة الواحدة (٢) ٠

ويلعب نظام النسب هذا المتمركز حول القبيلة (جيدو – Kedo) دورا ملموسا فى النظام الاجتماعى العفرى ٠ حيث يتكون العفر من قبائل وعشائر تتكون بالتالى من أنساب وعائلات تمتد معالمها إلى الخط الذكرى للأجـــــداد ٠

---

(١) ليدا برتى : برنامج صندوق الإسكان والتعمير الإيطالى فى إريتريا ٠

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٢٥ ٠

شخصية عفرية

شباب من العفر

وفى نظام الاتصال التقليدى للعفر ، تلعب القبائل دورا حيويا فى الحركة واتخاذ القرار · إن القبيلة وحدة سياسية واجتماعية فى التعاون والإنجاز· ورجال القبيلة يضطلعون بواجب لا مفر منه ، وهو مساعدة وحماية بعضهم بعضا فى أوقات الشدة والطوارئ من أى نوع · والامتياز الذى يحظى به عضو القبيلة المنسّب يمكن التغاضى عنه بالنسبة للشخص الذى لا يخضع باستمرار للأحكام الاجتماعية للقبيلة ، فإذا رفعت عنه العضوية يسمى هابينا Habeyna – أى الرجل المنفصل عن قبيلته ، ولا يمكن لأى أحد أن يمنع حق عضوية القبيلة عن قاصر أو سيدة أو مخبول ·

إن هذا المنع يمكن أن يكون جزئيا ، وفى هذه الحالة تمنع القبيلة ملكية الشخص ، وقد يكون كاملا فى حالة الإدانة فتمنع عنه الملكية والعضوية (١).

وفى حالة منع العضوية عنه ، فإن قبيلته الأصلية غير مسئولة عما يحدث منه أو عن جرائمه تجاه الآخرين (٢) . فى بعض الحالات تسمح القبائل العفرية بقبول الأفراد أو الجماعات غير العفرية أعضاء فى القبيلة ، وفى كلتا الحالتين – الرفض أو السماح بالعضوية – يجب أن يوافق بإعلان رسمى يسمى كوكتا Kulta .

إن العلاقات بين العفر يمكن تحديدها إما فى القبيلة الواحدة ، وإما بالإجماع بين القبائل .

ففى نطاق القبيلة الواحدة يعمل الجميع بوصفهم أبناء، أو بناتا ، أو أبناء عمومة (٣) . بصرف النظر عن مولدهم فى القبيلة على مسافات جغرافية بعيدة .

أما العلاقات خارج القبيلة فلها سمة الإجماع : فجميع القبائل الأم تصير أبينو Abino . ولا يسمح بالزواج إلا من القبيلة الأم . والأشخاص المنتمون إلى القبيلة الأم ينادون بعضهم بعضا نانجالتا Nangalta . ويعتبر

---

(١) عبدالله عمر آدم : مرجع سابق ، ص ٢٩ .

(٢) ريدو ، ١٩٧٣، ص ٦ .

(٣) آمية – دايلو Ammith - Daylo .

الزواج بينهم انفراديا مقدسا ، وعلاقاتهم دائما تحت حكمة « لا تغضبوا من بعضكم إبدا » (١) · وهناك علاقة قبائلية أخرى ، غير معروفة للأغراب ، ولكنها محترمة جدا ومنتشرة بين الشعب العفرى حيث يمكن أن تكون قبيلة ما أقبيها Afbeeha لقبيلة أخرى وهى علاقة مبنية على الامتناع المتبادل عن أذى أحدهم للآخر بالقول أوبالفعل ·

العادات والتقاليد :

إن النظام الاجتماعى فى العفر عموما يتفق نصا وروحا مع النظام الإسلامى، حيث لا تمييز بين أبناء العفر، ولا توجد بينهم طبقات ، فهم متساوون فى الحقوق والواجبات، ولا فرق بين فقير وغنى وبين الحاكم والمحكوم · فأبسط شاب من أسرة فقيرة فى إمكانه أن يطلب بنت السلطان أو بنت الغنى ويتزوجها دون اعتراض ، طالما أن هناك اتفاقا وقبولا بين الطرفين· ولا توجد فوارق بين العفريين وخاصة فى العصر الحديث ، عكس جيرانهم من الصوماليين واليمنيين والتيغراى والساهو ، فقد يختلفون معهم فى بعض الأمور· والجدير بالذكر أن فوارق الطبقات قد اختفت بين الشعب الإريترى منذ بداية الثورة ، والعفر أينما وجدوا يشعرون بانتمائهم للأسرة العفرية دون مراعاة لفوارق الحدود ، على الرغم من أنهم يتواجون فى كيانات مختلفة ودول لها حدودها الدولية والسيادية· ويحس العفر بأنهم جميعا أنساب وأصهار ، فالقبيلة الواحدة منهم تجد جزءا منها فى أقصى الجنوب فى

---

(١) عبدالله عمر آدم : مرجع سابق ، ص ٢٩ ·

الأواش بإثيوبيا ، وجزءا منها فى أقصى الشمال بمنطقة إريتريا وجيبوتى، وجميعهم تربطهم القومية العفرية ذات العادات والتقاليد المشتركة بالرغم من اختلاف قبائلهم (١) .

وهنا يجب أن نشير إلى نقطة أساسية ومهمة لابد من الإشارة إليها وهى أن اعتقاد أن العفر قبيلة واحدة نتيجة لهذا الترابط والتعاضد والانسجام بينهم اعتقاد غير صحيح ولا يستند إلى الحقيقة ، فهم ليسوا من قبيلة واحدة ولا من أصل واحد ولا تلتقى قبائلهم فى نسب واحد ، ولكن نظرا للتزاوج والتصاهر مع بعضهم بعضا نستطيع أن نقول إنهم تجمع قومى وطنى تربطهم المصالح المشتركة والآمال والأمانى الواحدة ، وقد بينا هذا الموضوع فى الأصول التى تنتمى إليها كل قبيلة خلال سردنا السابق للتركيبة السكانية للعفر . حيث تربطهم كما بيّنا قومية واحدة ذات أهداف ومصالح مشتركة ولغة واحدة ، وقد انسجم هذا الترابط والتجانس باعتناقهم الدين الإسلامى جميعا، وباهتمامهم بالثقافة العربية الإسلامية وقربهم من الجزيرة العربية وبحكم أصولهم التاريخية المرتبطة بتاريخ المنطقة قبل الإسلام وبعد الإسلام ، لهذا كله فإنهم يعتبرون اللغة العربية لغة الثقافة والدين ، ونجد هذا الإحساس بالانتماء إلى العرب واللغة العربية فى كل عفرى أينما وجد .

والعفرى أينما ذهب فى بلاد العفر الواسعة لا يشعر بالغربة أو بأنه بعيد عن أهله ، لأن من طبيعة العفر أنهم يحبون الغريب ويكرمون الضيف

---

(١) إسماعيل محمد العلوى : مرجع سابق .

وهذه الروح متأصلة فيهم كما هى متأصلة فى العربى البدوى ، فقد اكتسبوها من خلال أصالتهم ومن خلال انتمائهم للعروبة والإسلام· ويعتبر العفرى أينما حل فى بلاد العفر واحد من الأسرة · ومن عاداتهم الجديرة بالاحترام والتقدير أن العفرى يجير من استجار به حتى ولو كان من أعدائه، والقبيلة ملزمة بإجارة من أجاره أحد أفرادها ، ذلك لأن الفرد يستمد قوته من قوة قبيلته· ومن التقاليد الحميدة التى عرف بها العفر بصفة عامة والبدو منهم بصفة خاصة التعاون فيما بينهم ، وفى حالة تعرض أحدهم لأذى يهبون جميعا لمآزرته ومساعدته فى شتى مجالات الحياة مهما كان الأمر ، وفى حالة فقدان المال يجمعون له أكثر مما فقده · ومن عادات العفر أيضا إذا توفى شخص وترك زوجة أو أكثر يتزوجها أخو المتوفى أو رجل آخر من رجالات الأسرة، ويمنع زواجها من أى رجل خارج الإسرة إلا فى حالة تنازل أسرة المتوفى لسبب ما ، وفى هذه الحالة يمكنها أن تتزوج من أى رجل يطلبها إذا وافقت عليه هى ·

وصف الملامح العفرية :(١)

العفرى فى الغالب يمتاز بنحافة الجسم وقصر القامة لكنه غليظ العضلات ذا بشرة سوداء ضاربة إلى الاحمرار وأنف دقيقة وشفة رقيقة وشعر مجعد وكثيف · ومن سجاياهم الزهد وشظف العيش والصبر على المكاره، فهم يمتازون بالقوة البدنية ويكرهون العمل اليدوى ويميلون بفطرتهم إلى

---

(١) نفس المرجع السابق ·

صورتان
لفتاتان
عفريتان

القتال والغزو. وهم أيضا صيادون ماهرون ، كما يحترفون رعى المواشى من الجمال والأغنام فيحتلون المراعى متنقلين من مكان لآخر فى طلب الكلأ. وقد اختصوا أنفسهم بالمنطقة الواقعة فى جنوب خط السكة الحديدية الممتد بين جيبوتى وديرداوا وما يليها حتى الصومال .

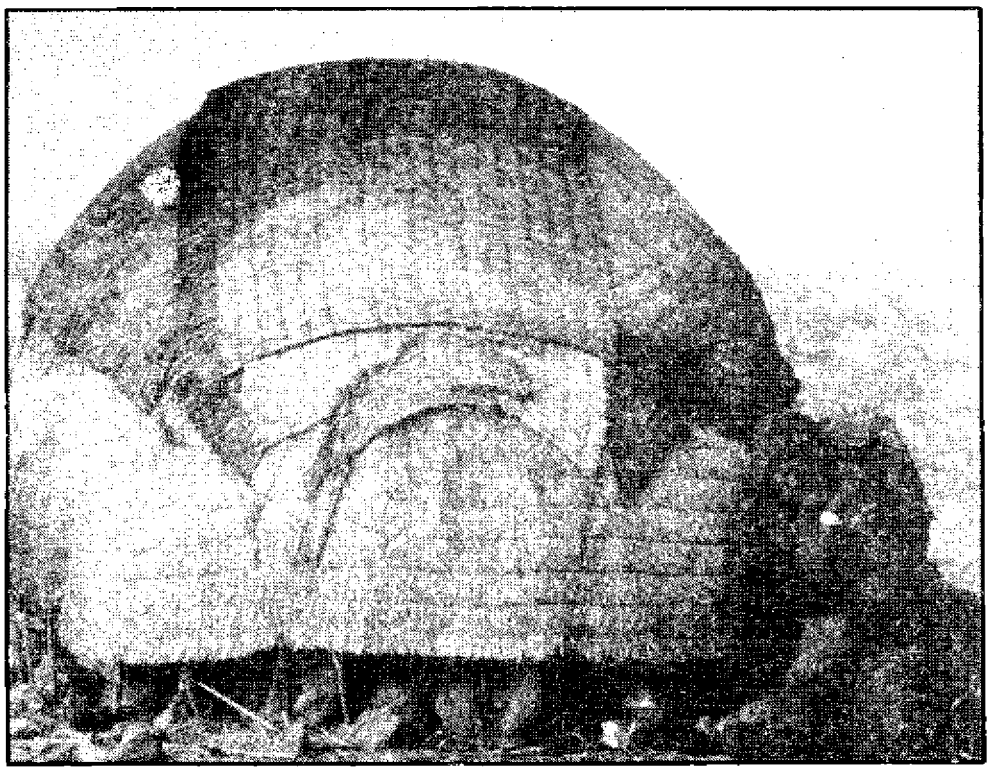

خيمة عفرية

وهم قبائل رحل منقسمة فيما بينها إلى بطون وأفخاذ تخضع لرؤساء يتوارثون السلطة فيها أبا عن جد · والنساء العفريات جميلات الملامح رشيقات القدود · وزينة الرجل العفرى أسلحته وهى الرمح وخنجر وترس صغيرة جميلة الشكل · وزينة المرأة حلق من الفضة فى أذنيها وأساور فى يدها· والعفرى شجاع باسل يستعمل سلاحه بمهارة وقل ما يخطئ الهدف ، وهو يخرج منفردا لاصطياد الأسود والنمور فى الخلاء وليس معه من السلاح سوى رمحه وخنجره · وفى الريف يعلق فى عنقه سبحة ذات حبات كبيرة ويدهن رأسه بالزبدة ممزوجة بالتراب الناعم بدلا من الروائح العطرية · والعفرى شديد التمسك بقوميته حريص على حريته الشخصية وهذا ما يجعله قليل الثقة بالأجانب الأوروبيين وهذا ينطبق خصوصا على أهل الريف، أما أهل المدن فأكثر استعدادا لقبول الحضارة العصرية · كما أن تقاطيع وجوههم على حد قول أحد علماء الأجناس البشرية سامية متناسقة ورشيقة ، وهم يشبهون كثيرا سكان جنوب الجزيرة العربية والفراعنة القدماء · ويشيد العفر قبورا أنيقة لموتاهم – ورثوها عن الفراعنة – تتألف من ركن مرتفع على شكل دائرى مصنوع من صفائح حجرية قد يصل ارتفاعه إلى قدمين ونصف متر ، ويحاط عادة بسور ارتفاعه نصف متر فيه مداخل ، وقد يقام للشخص الذى توفى خارج القرية ، بشرط أن يكون رجلا· فأما قبور القتلى الذين لم يؤخذ بثأرهم فتتميز عن سائر القبور ، ويظهر هذا التمييز بصفة خاصة عند قبيلة داهميلا، وذلك ببناء الركن بحجارة بيضاء أو سوداء للتمييز بين من أخذ بثأرهم ومن لم يؤخذ بثأرهم بعد ·

ومن ضمن العادات الموروثة للعفر تقديم اسم العائلة على اسم الفرد

– مثل الأوروبيين – خلافا لجيرانهم · وقد حدث ذلك نتيجة لاختلاطهم فى العصور القديمة مع اليونانيين الذين احتلوا سواحل البحر الأحمر، وقد دخل معهم العفر فى حروب طاحنة ومقاومة شعبية طويلة مما أكسبهم هذه العادات الموروثة من الغرب ·

تقاليد العفر في تنصيب السلطان :

إن تقاليد تنصيب السلاطين على السلطنة عند العفر تشبه إلى حدكبير تقاليد تنصيب الملوك القدماء الأوروبيين والفرس · وكان الفرس قد احتلوا شواطئ بلاد العفر مرتين قبل الإسلام كما هو معروف تاريخيا، ومن ضمن الآثار التى بقيت من الفرس فى المنطقة الآبار الكثيرة التى حفرها الجيش الفارسى فى جزيرة دهلك حيث كانوا يشتهرون بحفر الآبار الموجودة حتى الآن، وهى آبار جافة عددها ٣٦٥ بئرا، وكانت تمتلئ بمياه الأمطار شتاء ،وكان الجيش الفارسى يستخدم منها بئرا واحدا على مدار السنة · وقد أخذت البحرية الإريترية حاليا فى ترميم هذه الآبار التاريخية للاستفادة منها وللمحافظة عليها بوصفها معلما من معالم التاريخ ·

النظام الوضعي للعفر أو الدستور (مدعه) : (١)

كلمة (مدعه) توازى الدستور الوضعى للعفر باللغة العفرية، ولقد أسس الدستور العفرى لأول مرة بيد الأمير سيرال حمدو سيرات ١١٠٠م وقد استشار العلماء عند وضعه لذلك الدستور، كما أن القانون منبثق فى معظمه

---

(١) إسماعيل محمد علوى : مرجع سابق « بحث غير منشور » ·

من الشريعة الإسلامية ومتوافق معها · وقد جدده السلطان بـر على ٤٠٠م ، ولذلك سمى باسم (بر على مدعه) بمعنى دستور برعلى نسبة إلى مجدده · والدستور العفرى من أقدم الدساتير الوضعية قديما وحديثا فى المنطقة · ويعرف رئيس القبيلة أو السلطان عند العفر باسم (درور) ويندرج تحت لوائه رؤساء القبائل الفرعية، ومناصبهم وراثية، وفى بعض الأوقات تجرى انتخابات ديمقراطية · ويكتنف بعض الغموض سلطة رؤساء القبائل ، فكل القرارات المهمة تتخذ فيما يعرف بـ (الكلام) وهو المؤتمر العام للقبيلة، وأما قوانينهم الجزائية فهى فى غاية البساطة مثل : قتل أحد الذكور يعاقب عليه بقتل ذكر من العائلة أو القبيلة التى ينتمى إليها القاتل وإذا تمكن القاتل من الهرب ينفذ الحكم بإعدام أحد أقاربه على أن يدفع القاتل إلى عائلة القتيل بعد انتهاء كل شىء مبلغا من المال تحدده القبيلة ·

وهكذا يقوم بين القبائل نوع من الحسابات لها موعد لأدائها أى حدّ زمنى متفق عليه ، غير أن شيوخ القبائل المتنازعة اعتادوا أن يلتقوا كل عشر سنين ، أو كل اثنتى عشر سنة للقيام بجردة حسابية ·

ويقدم ج ·ريدو (١٩٧٣م) نوعين من القانون العفرى العرفى ، جمعهما من شاطىء البحر الأحمر والمنطقة العفرية خلف الساحلية ، وقد قام بتجميع هذه القوانين أساسا المرحوم : ياسين ماحامودو « عفرى وطنى شهير وسياسى من إريتريا » وبعد ذلك صنف بمعرفة ريدو عام ١٩٧٣ (١) ·

---

(١) ج · أ – ريدو : القانون العرفى العفرى ، سنة ١٩٧٣·

الزعيم الوطنى العفرى ياسين محمود

ياسين ماحامودو هو أحد رموز الوحدة الوطنية العفرية ، وأحد القادة البارزين فى المجتمع العفرى · جمّع القانون العرفى العفرى وأنتج أغانى شعبية لحث الشعب العفرى على الوحدة · إن نداءه بالوحدة وحرية الإرادة وتقرير المصير كان من الخطوط الرئيسية فى الحركة الوطنية العفرية خلال عشرات السنين الأخيرة ·

السلطان ونفـوذه :

يجسد السلطان أعلى سلطة فى السلطنة ، ويجب أن تتوفر لديه بحكم هذا المنصب بعض الشروط الأساسية وهى :

١ - أن تكون والدته من بنات إقليم السلطان ٠

٢ - أن ينتمى إلى قبيلة كبيرة ذات بأس ونفوذ وقوة ٠

٣ - أن يكون قد بلغ سن الرشد ٠

٤ - أن يتمتع بالحكمة والاتزان ٠

٥ - أن يكون فى حالة صحية ممتازة ، بالإضافة إلى تمتعه بحيوية ونشاط فائق ٠

ويفسر العفريون الشرط الأخير بقولهم : إن مراسيم اختيار سلطان جديد تكلف السلطنة عددا لا يحصى من المواشى والمواد الغذائية ٠ كما أن (الحداد على السلطان الفقيد) يدوم طويلا مما يخلف فراغا كبيرا فى السلطة لدى السلطنة ، علما بأن كل سلطان له نائب يعرف باسم (بنيت) ويحل أحد أفراد أسرته محله فى حالة غيابه المؤقت أو الدائم ٠

فى الحياة العملية لا يحق للسلطان ، على الرغم من كل ما يملك من السلطة بأى وجه من الوجوه أن يتدخل فى الشئون اليومية للناس ، بل بالعكس فإن القانون السارى لدى العفر يحض المواطنين على حل مشاكلهم بالتراضى فيما بينهم ، وفى حالة تعذر الوصول إلى حل يرضى الطرفين المتنازعين ترفع القضية إلى السلطان للفصل فى القضية باعتباره أعلى سلطة

فى السلطنة· والسلطان لا يجامل فى العد ل وقد تكون العقوبة على الجانى قاسية وصارمة مقارنة بالأحكام التى تُتَخذ عادة فى مثل هذا النوع من القضايا عندما تحل من دون تدخل السلطان ، وربما لهذا السبب لا يرفع إلى السلطان سوى عدد قليل جدا من ملفات المشاكل ذات الطابع المعقد · لهذا يحاول الجميع بشتى الطرق حل الخلافات فيما بينهم دون الاحتكام إلى السلطان حتى لا يوقع أحكاما قاسية عليهم · وبما أن مسئولية حماية السلطنة وسكانها تقع على عاتق السلطان، فإن نفوذه الحقيقى يبرز فى اتخاذ قرار الحرب وفى إبرامه معاهدة السلام ليس إلا (١) ·

إن أسلوب نظام الحياة عند العفر يسمح بمشاركة الجميع ويقطع الطريق على سيطرة قبيلة ما على بقية القبائل، ولكن تختلف الآية عندما يتعلق الأمر بالسلطان ·

مصطلح (فيهما) أي المساواة والتكامل :

هو مصطلح معروف لدى العفر والمقصود منه المساواة، والمقصود بالمساواة هنا ليس سيادة العدالة فى محيط القبيلة الواحدة فحسب – والمحكوم بقانون السيد والمسود – وإنما بين مجموعة من القبائل تقطن إقليما واحدا ، وتعيش تحت كنف السلطان والسلطنة فى العفر · ويوجد على رأس كل (فيهما) أيا أب الفيهما وهذا الأب أو الرئيس لا يحق له أبدا أن يتولى منصب (المكانيب) أى رئاسة القبيلة ، وذلك للحيلولة دون تداخل شئون القبيلة

---

(١) محمد على عيسى : الأزمة السياسية فى جيبوتى منذ عام ١٩٧٣، ص ٨ – ٩·

الداخلية مع جملة قضايا القبائل المنضوية تحت لواء (الفيهما) · وتجدر الإشارة هنا إلى وجود أكثر من (فيهما) فى إطار السلطنة الواحدة · كما أن (الفيهما) لا تخضع لقانون صارم واحد سواء كان ذلك فى إطار سلطنة واحدة أو بين السلطنات جميعا · ويرى الباحثون فى المسائل العفرية أن نظام (الفيهما) قضى على الشعور القبلى لدى العفر – والذى يلاحظ عند القبائل العيساوية والصومالية والعربية فى جيبوتى – مما أكسبهم طابعا اجتماعيا جديدا أكثر مرونة · ومع الوقت أضحى العفرى أكثر تمسكا بـ (الفيهما) حتى فى القضايا المتعلقة بمسألة الحياة أو الموت ، وهى إشارة منهم إلى مدى تأثر النظام الإنسانى العفرى بقرارات (الفيهما) · ويسرد المثقفون العفريون هذه النادرة شبه الأسطورية : (إن عفريا أصابه مرض عضال فلم يكف عن إلحاحه على (الفيهما) للدعاء له حتى يشفى من دائه وعلى الرغم من أن دعاء (الفيهما) لم تنفع بشىء فإن الرجل سبب بإلحاحه وجع رأس له ، فقد خطرت فكرة جهنمية لأحد أفراد (الفيهما) ترمى إلى التخلص من المريض نهائيا حتى يرتاح من ألمه ويريح الآخرين من شكواه الدائمة ، ووافق عليها الجميع حيث طلبت (الفيهما) منه أن يتناول لحم الحرباء دواء لدائه · والمعروف لدى العرف أن لحم الحرباء لا يعدو أن يكون سما قاتلا، فتوكل الرجل على (الفيهما) وأكل لحم الحرباء قائلا : (أدرك جيدا أن لحم الحرباء سم، ولكنى أدرك أيضا أن قرار غالبية أعضاء الفيهما دواء لكل الأمراض، ثم توارى عن الوجود) · والمعروف أن قرار حكماء ومشايخ (الفيهما) أو (الفيهمات) لا يلزم فقط الأناس العاديين بل ينسحب أيضا على السلطان وعلى رئيس أب (الفيهما) فى حالة حصول خلل فى ممارسة القواعد الأخلاقية والاجتماعية المتعارف عليها بين

الجميع (١).

اللغة العفرية :

وهى اللهجة التى يتحدث بها العفريون إينما وجدوا ، من السهل الشرقى فى إريتريا حتى الهضبة الحبشية ونهر أواش وجيبوتى ، كل هذه التجمعات تربطهم هذه اللغة ، وهى تتشابه مع لهجة الساهو والصومال والقالا ، وتكاد تكون توأما لها من حيث المفردات والألفاظ مع فارق صغير فى اللكنة . وهى أيضا لغة كوشية حامية، ففى بعض مفرداتها نجد كلمات سامية بحكم اتصال العفر بالجزيرة العربية عبر الساحل على مدى العصور المختلفة، كما تأثرت لغة العفر باللغة العربية من ناحية الألفاظ فى العصر الحديث . وبقدر ما هى مجهولة على الصعيد الإقليمى والدولى والقارى بقدر ما هى ثرية فى مفرداتها وإن كانت زئبقية حتى فى بيئتها حيث يستعصى الإمساك بزمامها حتى على أبنائها عندما يحاولون التحدث مع لغة أخرى سواء كانت كوشية أو سامية أو لاتينية ، فعلى سبيل المثال :

يطلق مصطلح « وداى » على أناس ولدوا فى سنة واحدة و « يودا » على مواليد الفصل الواحد من السنة و « عدو » على مواليد الشهر الواحد و «فود» على الذين ولدوا فى الأسبوع نفسه إلى غير ذلك .

وتعد اللغة العفرية من حيث المفردات والألفاظ أم اللغات الثلاث - الكوشية الأصل - الأورومو والصومال والساهو وتسمى هذه اللهجات

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ١٠ .

كلها فى مصطلح اللغات الكوشية بلغة العفر ٠

فاللغة العفرية ترجع إلى اللغة القديمة التى كان يتحدث بها أجدادهم من السكان الأصليين فى المنطقة منذ خمسة آلاف سنة قبل الميلاد، وإن كانت الشواهد تقول بأنها لغة سامية كوشيه إلى حد ما ، وأنها كانت أقرب إلى لغة معينة باليمن وهى اللغة السامية كذلك ، وعموما فإن لغة العفر الحديثة إذا ما قورنت باللغة العربية فإننا نجد أن أكثر ألفاظها بل الغالبية العظمى من هذه الألفاظ التى تعبر عن غنى وثراء اللغة هى ألفاظ عربية صرفة أو مشتقة منها (١)٠

ولقد زاد من هذه الألفاظ فى لغة العفر دخولهم فى الإسلام، ولذا أصبحت لغة العفر تضم الألفاظ العربية الدينية والتجارية ، وقد كتب العفر لغتهم بالحروف العربية وهى حروف الكتابة المستخدمة حتى يومنا هذا (٢)٠

أنواع المنازل العفرية :

الأنواع الرئيسية لمساكن أهل عفر أربعة : هى الخيمة الكروية المغطاة بالحصير المجدول أو فى بعض الأحيان بفروع الأشجار، والكوخ المستطيل المغطى بفروع الأشجار، والمنزل المصنوع من الألواح الخشبية ، وأخيرا المنزل المبنى من الأحجار ٠ وأثناء الهجرات لمسافات طويلة فإن الأسرة بكاملها تتحرك متتبعة قطيعها ، وفى هذه الحالة فإنهم يفضلون الأكواخ المغطاة بالحصير

---

(١) عوض داود محمد : مرجع سابق ، ص ٩ ٠

(٢) أحمد يوسف القرعى : مرجع سابق ٠

مأوى لهم فى الليل لأنها أسهل فى تركيبها وفى فكها · وعندما يكون العمل محصورا فى مسافات قصيرة فى المنطقة التى استقرت بها العائلة، فإن الرجال وحدهم هم الذين يخرجون مع الحيوانات بينما تبقى الزوجات والأولاد الصغار فى تجمع من الأكواخ،· ويستبدل الحصير المجدول بفروع الأكاسيا الخشبية، كما يستبدل فى حالات أخرى بألياف تسمى (ماركا) لوضعها فوق الهيكل الخشبى ·

وفى المستوطنات الدائمة يتكون الحوش من أربعة أكواخ ، والكبير فيها حوالى ٧×٤ مترا مفروشا بالأسِرة الخشبية ، ويستخدمه الوالدين والأطفال الصغار ، وينام الضيوف فى الكوخ المجاور ، ويستخدم الثالث والرابع على التوالى لطهى الطعام وللأغراض الصحية · وفى التجمعات الصغيرة عادة يستخدم سور دائرى لمأوى الحيوانات· كما أنهم يستخدمون الأجولة المستخدمة فى تخزين الدقيق غطاء لهم فى الأكواخ الدائرية والمستطيلة·

وفى المراكز الساحلية مثل ثيو ، بيلول ، ودى ، فهناك منازل مستطيلة مبنية من الألواح الخشبية التى تأتى من اليمن ، وفى ثيو نجد أن الجدران الخارجية تطلى بألوان زاهية ، بينما تضاف فى ودى مواضع مزخرفة بمختلف الألوان ·

وتوجد فى أفامبو القرى المجاورة مثل إبى ، آرالو ، وآراب منازل صخرية مستطيلة الشكل وفى بعض الأحيان يكون لها سقف من الزنك (١) ·

---

(١) السيرا · بيرتى : مرجع سابق ·

فتاتان عفريتان

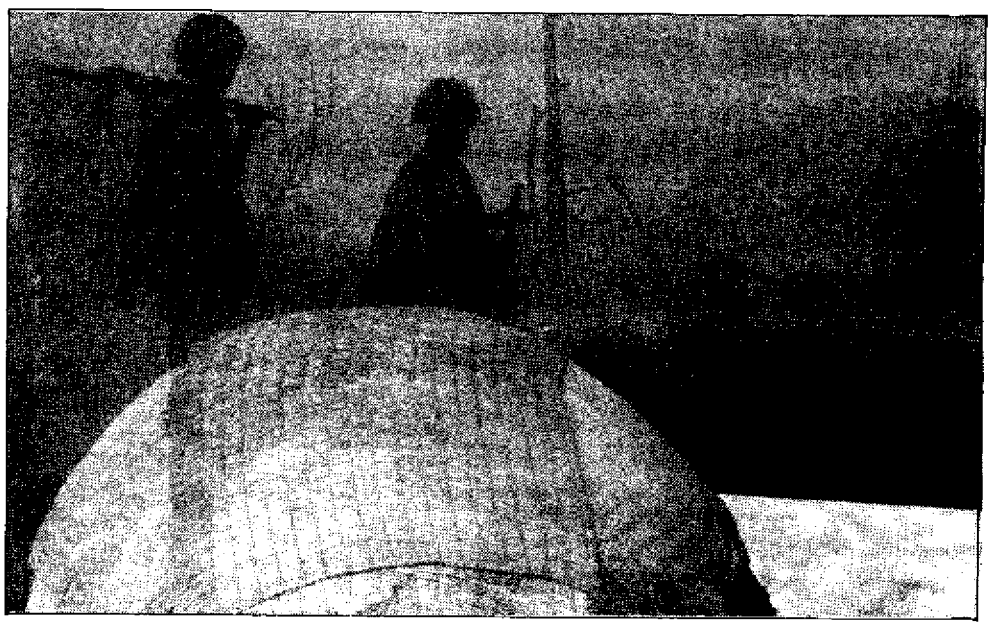

مقاتلان من العفر

إن بناء الأكواخ داخل المجمع لا يتم حسب الرغبة ، بل هناك تقليد معين ومكان مخصص لذلك · ولا تنطبق هذه القاعدة إذا كان المجمع من عائلة واحدة Inki - arita ، أو إذا كانت الأسرة قد استقرت مع عائلات أخرى لا تتبع نظام Daala التقليدى (١) ·

ويحتوى كل Rasu على Gaanta مجموعة سكانية تشتمل على المنازل وما حولها من الأراضى · وتتكون من Burari (المنزل وما حوله من أرض) ، وتتجمع الـ burari فى مجموعات مختلفة من التجمعات تسمى Daalooli ، كل منها له بوابته الخاصة · فى كل Daala (مفرد Daalooli) كل كوخ له سمته الخاصة ويسمى Dladaar (٢)·

إحتفالات الزواج :

إن الزواج صورة أخرى من صور الروابط التى تصل بين القبائل ولا يزال الزواج بين العفر يعد ربطا للقبيلتين ببعضهما أكثر من كونه ربطا للزوجين ·

إن الفشل فى الحصول على تصديق عرفى لهذا الاتحاد ليس مقبولا من إحدى العائلتين ·

وعن وضع النساء فى المجتمع العفرى ، يقول سافارد : « فى الحقيقة ، يجل العفر نساؤهم كثيرا ؛ ونادرا ما يزوجونهن لغير العفريين ،

---

(١) ك · ف · سافاردولويس ١٩٥٥ ·

(٢) عبدالله عمر آدم : مرجع سابق ، ص ٢٣ ·

فتاة عفرية

لعبة الميلايوى

رقصة سجلو من أشهر الرقصات التقليدية التى تؤديها الفتيات فى مدينة تاجورا

ولا يزوجونهن بتاتا لغير المسلمين . وإنهم لا يضربونهن أبدا ، وأحيانا يتصارعون ، ويدفعون الكثير ، من أجلهن » [1] . إنه فخر للنساء أن يكون تواصل العلاقات بين القبائل مرتبط بهن ، والذى يعتمد على روابط أبناء العمومة (أبوك – أبسوما abuk - absuma) [2] ، فزواج أبناء العمومة أمر مرفوض حيث تتبادل المجموعات أو القبائل المتقاربة النساء بطريق غير مباشر بالتزام اعتيادى متبادل « ساڤارد ١٩٦٦ » .

وأما ثروة العروس ، فهى رمزية أساسا مثل لباس رأس ، حربة ، خنجر ، ملاءة بيضاء وبعض المؤن . وإذا رفض شخص الزواج من أبسومة أو اتخذ غير أبسوما ، كان عليه دفع تعويض لكسر العادة [3] . وعند بلوغ سن الزواج، وهو يتراوح عادة بين ١٤ – ٢٠ سنة يتم العمل المعتاد الذى يتمثل فى التحضير للاحتفال فى الناحيتين بواسطة أهل العروس (ابنا ibna) وأهل العريس (أروس arus) وإعداد كوخ الـ إذ – أرى (ad - ari) [4] . وعادة يتم الـ جناووة – أرو ginnah - araw (تسليم العروس إلى زوجها) فى المساء وإذا حملت العروس من بيتها ، فلا يسمح لها باللحاق بزوجها حتى تلد ويصل عمر وليدها إلى سنة .

---

(١) ساڤارد : عام ١٩٧٠، ص ٢٤٧ .

(٢) عبدالله عمر آدم : مصدر سابق ، ص ٣٢ .

أما علاقة الـ أبوك – أمبسوما Xbuk - Absuma ، فهى مبنية أساسا على علاقة الدم .

(٣) اكوسينز : مرجع سابق ، ١٩٧٣ ، ص ١٦.

(٤) كسوخ الـ آد – أرى ad - ari : تعنى البيت الأبيض الذى يبنى خصيصا للزوجين الجديدين، ويجب أن يبنى ويزود ببعض الأدوات المهداة هدية للزوجين .

وإذا أهمل الزوج زوجته باستمرار أو أساء معاملتها ، وفشل أهله فى إنهائه عن هذا ، فهى تتركه نهائيا وتذهب إلى عائلتها · ومن حق الرجال والنساء أن يتزوجوا مرة أخرى بعد طلاقهم ·

وفى حالة الطلاق ، إذا كان الأطفال لا يزالون صغارا يمكنهم الذهاب مع أمهم على أن يعولهم أبوهم ، وإذا كانوا كبارا فهم يذهبون إلى حضانة أبيهم·

وإذا مات الزوج ، ترتدى الأرملة ملابس الحداد (أجال agal) لمدة ثلاثة أشهر وعشرة أيام متصلة ، ولا يسمح لها بالاغتسال خلال هذه الفترة إلا أيام الجمعة · ولا يسمح لها بغسل شعرها أو التزين بأدوات الزينة طوال فترة الحداد (روك rooka) ·وعند انتهاء فترة الحداد يتم عمل احتفال حيث يتم غسل الأرملة (جوبنا gubna) ومسحها بالزيت بواسطة أقرب أقرباء المتوفى ويتم هذا تماما فى ذات الوقت واليوم أو الليلة التى توفى فيها زوجها · بعدئذ تخلع الزوجة ملابس الحداد، ويحق لها الزواج فى أى وقت بعد ذلك (١) ·

ويحق للعفر تعدد الزوجات « حسب الشرع » فيحق للرجل أن يجمع بين أربع زوجات فى نفس الوقت (هاجو haggo)، أما الرجال المتزوجون من أخوات فيعرفون باسم هانو hanno · وعند موت الزوجة يمكن للرجل أن يتزوج من أختها أو أحد أقاربها المقربين · وبالعكس ، عند موت الزوج ، يمكن للزوجة أن تتزوج أخا زوجها المتوفى ·

---

(١) عبدالله عمر آدم : مرجع سابق ، ص ٣٣ ·

الفـــن العفـرى :

الشعب العفرى يحب الطرب والرقص كبقية شعوب منطقة القرن الإفريقى، فهذه الخاصية تمتاز بها إفريقيا بوجه عام وإريتريا والحبشة على وجه الخصوص · ومن أهم الألعاب التى يشتهر بها العفر :

١ – سرح : وهو من أشهر أنواع الفن الفلكلورى الشعبى ، فأينما وجد العفرى يلعبه ويمارسه الفتيات والرجال على حد سواء ، فهو فن شعبى أصيل يمتاز به العفر ·

٢ – كيكـــى : وهذه الرقصة يمتاز بها العفر وهى شبيهة بالرقصة اليمنية، وهى فن مشترك بين الرجال والنساء، ويحتمل أن يكونوا قد اكتسبوها من أجدادهم اليمنيين القدماء ·

٣ – لالـــى : (مركدى) وهى شبيهة برقصة الحرب، حيث تقتصر على الرجال فقط، ويشاركهم فى هذه اللعبة الساهو التجرى · وهى رقصة جميلة تمتاز بالخشونة الرجولة ، ومن أجل هذا سميت برقصة الحرب ·

رقصة ملايوى العفرية

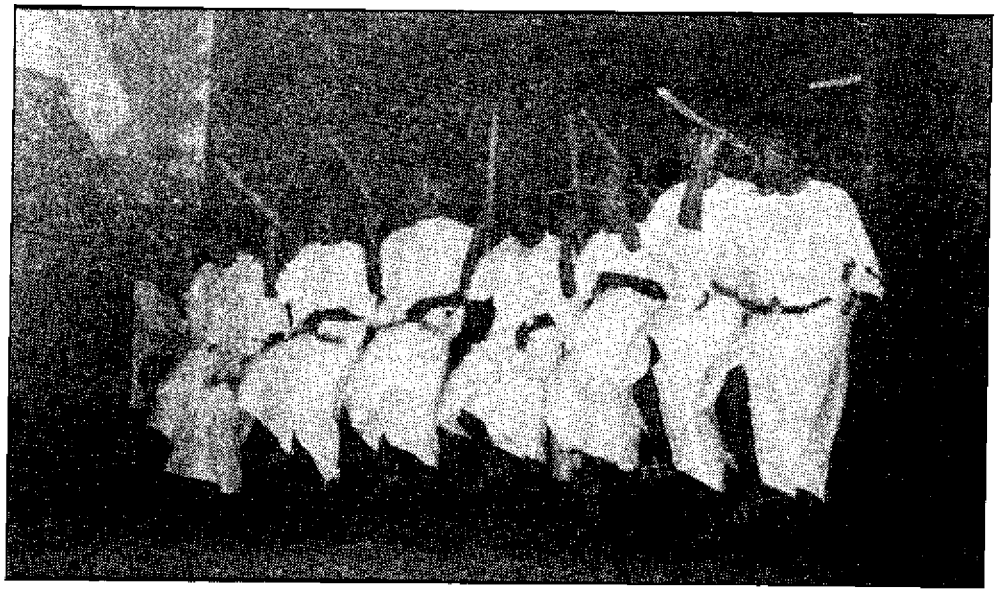

رقصة عفرية

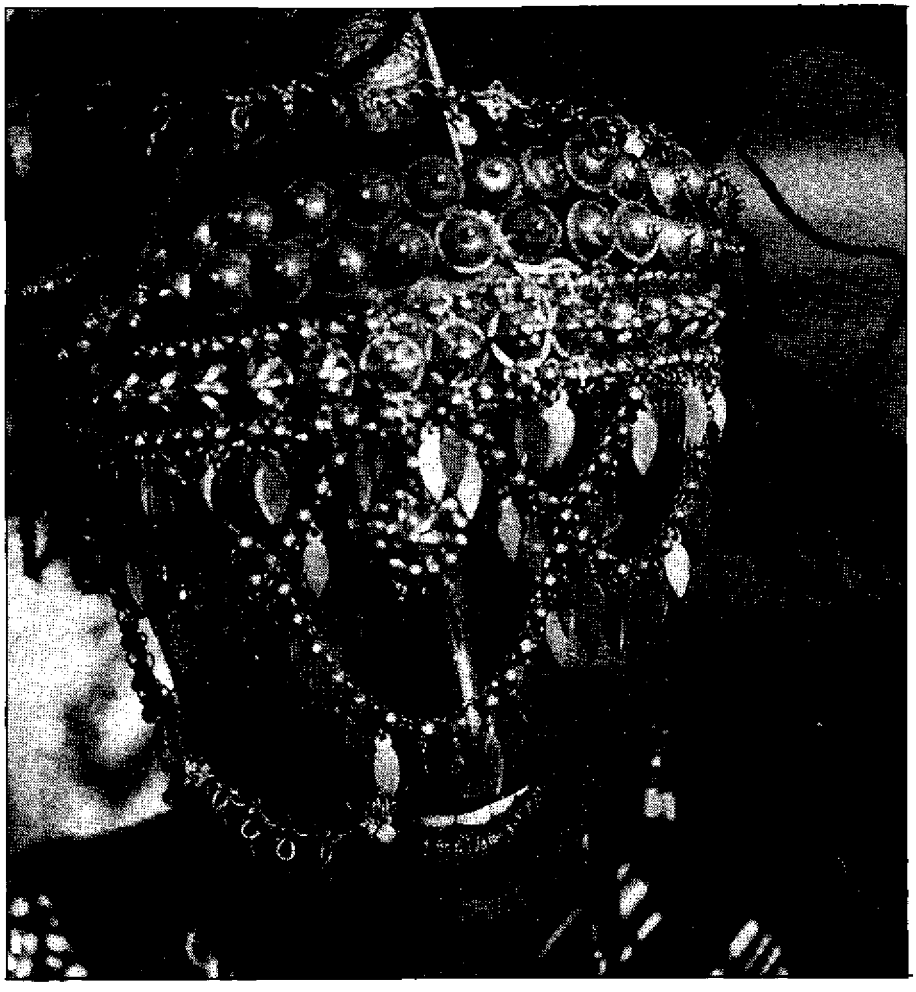

فتاة عفرية من تاجورا

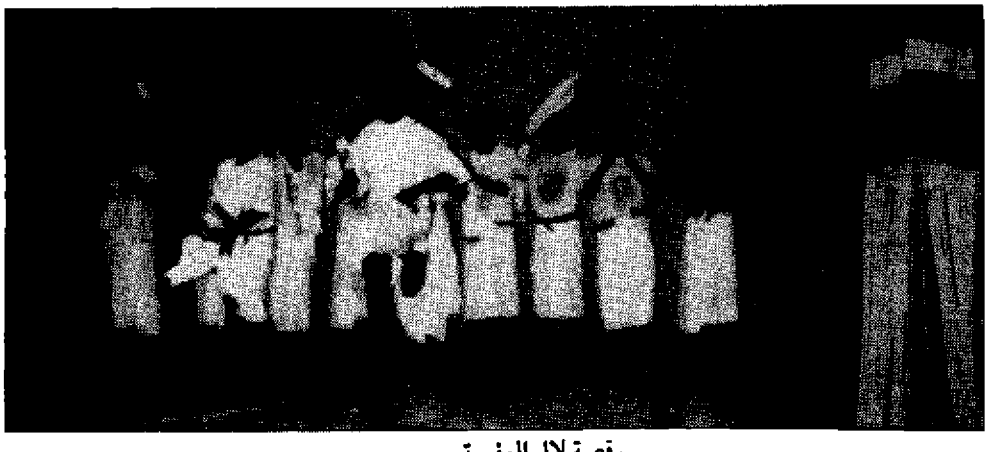

رقصة لالى العفرية

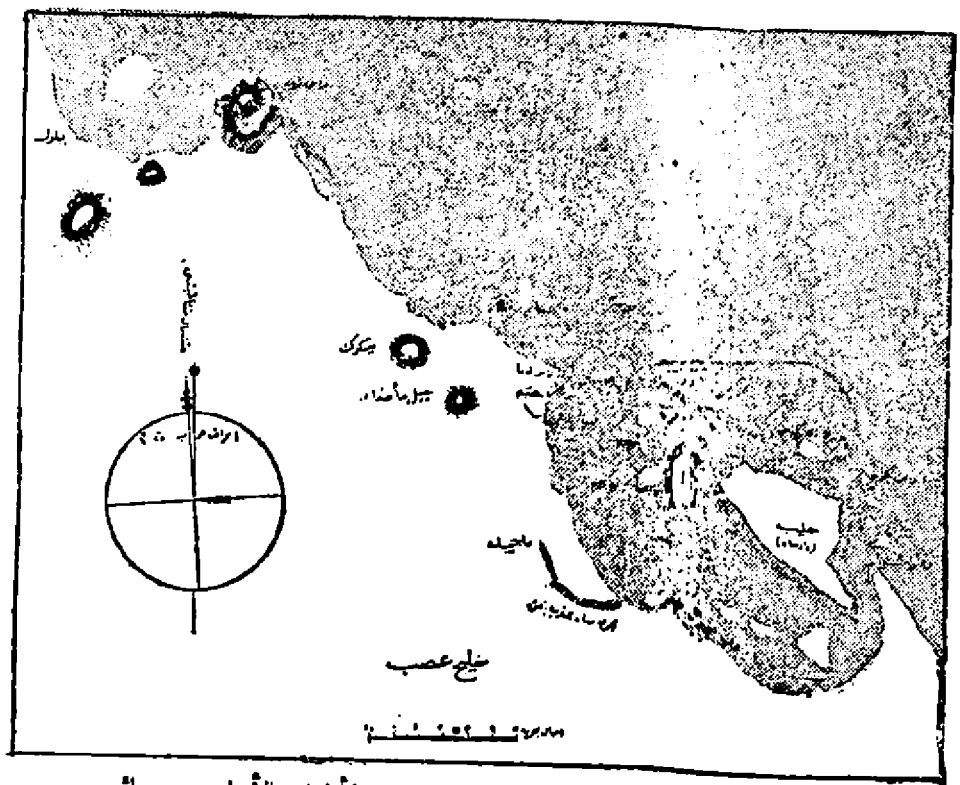

عصب — وبيلول والمناطق المجاورة التى تعرضت لأطماع الأجانب ودسائسهم
رسم هيئة أركان حرب الجيش المصرى (الأصل بالمحفوظات التاريخية) .